



الباطل والمبطلين دائماً . الله الذي تتواضع في الإيمان به هذا الإيمان الفطري الساذج الذي لا يوقننا في لغو اللاعنين وتناقض المتناقضين ، بعد أن بلونا من مثل ما يبلو أخوانا الرصافي الآن ألواناً وألواناً ...

الرصافي يغضب ويتهرب

فوجئت بالرد الذي نشره الأستاذ الرصافي وأنا بعيد عن القاهرة . وقد اتهمنا فيه (١) بأننا بدلنا أقواله (٢) ولم تكن أمناً في نقلها (٣) وبأنه استنتج من ذلك أننا لم نقرأ التعليقات قراءة مستفيضة بل سرنا بها سروراً خاطفاً ، (٤) وبأن يدأ خفية نحررنا (٥) (١١) وبأننا حاقدون عليه (٦) وبأننا نعرف آداب البحث والنقد والمناقشة لكننا ضربنا صفحاً عنها في تناول تعليقاته لسبب لا يعرفه (٧) وبأننا خلطنا بين آراء الفلاسفة اليونانيين في وحدة الوجود ، وآراء الزنادقة من متصوفة المشرق (٨) وبأن الغيرة الدينية هي التي أعمت بصائرنا عن الحق (٩) ثم ذكر أنه ليس متصوفاً ، وطلب إلينا أن نسأل الذين يعرفونه ليثبت لنا ذلك (١٠) وأنه لا يدعو إلى شيء كما هو لنا نحن بذلك لدى العامة (١١) (١) ثم ذكر أننا نتجنى على المتصوفة حين نتهمهم بميلهم إلى اللذائذ الجنسية الخسيسة وتحللهم من الشرائع والقوانين والآداب العامة . . . إلى آخر هذا التخبط ونسود فنقول بأننا الآن بعيدون عن القاهرة ... فليست أعداد الرسالة التي سفهنا فيها تعليقات الأستاذ الجليل تحت أيدينا نرى مقدار ما شوهنا أقواله ، ما دام هو لم يجرؤ أن يقدم لنا دليلاً واحداً على هذا التشويه . وليست رسائل التعليقات تحت أيدينا كذلك ، فقد أعطيناها لصديقنا الدكتور زكي مبارك ليرى فيها رأيه (وذلك منذ شهر تقريباً) ... ونحن نطمئن الأستاذ الرصافي على سلامة تفكير الجمهور من القراء في مصر وفي العالم العربي ... لأنه جمهور لا يكتبني بأن يقال له إن كل ما ذكره دريني خشبة عن الأستاذ الجليل معروف الرصافي باطل ملحق ليصدق هذا القول ... ونعترنا أن نعترف للأستاذ الرصافي بأنه صحيح أن بساً خفية نحررنا للرد عليه . لأنها يد الله التي تحقق

إلا أنني لا أستطيع أن أسكت ، حتى أعود إلى القاهرة بعد شهر إن شاء الله تعالى ، دون أن أعرض على العقلاء في العالم الإسلامي كله جانباً من هذا الذي عاد الأستاذ الجليل معروف الرصافي فتحدث إلينا به في رده التهاوت ، وذلك بخصوص استواء المتناقضات أمام الله لا أمام الناس :

لما كان الصوفية يقولون : كل ما وقع في هذا الكون فهو حق ، وأنه لا باطل إلا المحال كما هو مذكور في رسائل التعليقات ، تساوت عندهم المتضادات ، فالشر كالخير ، والضلال كالهدى . كلاهما حق ، لأنه واقع ، ولو كان باطلاً لما وقع ، لأن الباطل هو المحال الممتنع الوقوع ، ولكن هذا التساوي في المتضادات إنما هو بالنسبة إلى الوجود الكلي - أي إلى ذات الله - لا بالنسبة إلينا ، فذات الله في رأيهم لا يصدر عنها الباطل ، بل كل ما صدر عنها فهو حق ، وهم يستدلون على ذلك بآيات من القرآن كما هو مذكور في رسائل التعليقات

... .. ولا بد أن الأستاذ خشبة قد قرأ كتاب التصوف الإسلامي للدكتور زكي مبارك واطلع على ما نقله عن الجيلي من أن الله هو الهادي وهو المذل ، وأن الضال متحقق بصفة الضلال ، كما أن المهتدي متحقق بصفة الهداية ، وأنهما أمام الله سواء ، كما هو مذكور في رسائل التعليقات أيضاً ، وهذا صريح في أن تساويهما إنما يكون أمام الله ، أي بالنسبة إلى الله ، لا بالنسبة إلينا »

فما رأي العقلاء في العالم الإسلامي كله في هذا ؟ لقد فزع الدكتور زكي مبارك (نفسه) من الأخذ بهذا الضلال ، وفزع منه على الأخلاق والقوانين والشرائع ، فطأه الأستاذ الرصافي بأن التساوي إنما يكون أمام الله لا أمامنا نحن ،

أى بالنسبة إلى الله لا بالنسبة إلينا ... لأننا لا وجود لنا ، لأن الوجود الكلى المطلق هو الله ...

إن الأستاذ الرصافي يطلب إلينا تفسير الآيات التي استشهد بها المتخبطون على لغو هذا ، وهو يطلب إلينا ذلك ظاناً أنه يوقفنا أمام مشكل صوره له اضطرابه . ونحن نظمته ، لأننا سوف نعود إليه ، ... ثم سأله هل يشكر أنه يشكر البعث كما يؤمن به المسلمون ، وأنه يشكر أن القرآن كلام الله ، بل هو كلام محمد ألقى في روعه أنه يسوله بلسان الله ، وأنه لا معنى للعقاب والثواب والحساب إلا على الصور الجفونية التي زخرفها له وسواسه ، وأنه يشكر الأدعية ومنها الصلوات ، لأنها لن تغير من قوانين (الوجود الكلى المطلق شيئاً) ؟

وبعد ... فهل صحيح أن الرصافي لم يدعنا إلى شيء ؟ هل نسي ما علق به على ذلك المستشرق الإيطالي الجاهل ؟ ألم يطلب إلينا أن نفيق ؟ نفيق مم يا ترى ؟ وإلى عود قريب إن شاء الله ...

دربني فضيلة

إلى الأستاذ زكريا إبراهيم

ما هذا يا أخى ؟ لماذا قطعت حديثك عن وحدة الوجود بعد إذ بدأتها ؟ ما ذا حدث ؟

إلى الأستاذ الجليل الفاضلي

ذكرت أياها الأستاذ الجليل في العدد (٥٧٦) من الرسالة الفراء ضمن « نقل الأديب » التي لا يبق بعدها لسان أو بيان قصة ابن يعيش حينما أخذ يسرح قول ذى الرمة :

أيا ظبية الوعاء بين جلال

وبين النقا ... آ أنت أم أم سالم فأطال القول في ذلك ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، ولكن الفقيه الذي كان يقرأ عليه ويسمع منه سأله بمد كل ذلك :

إيش في هذه المرأة الحسنة ، يشبه الظبية ؟ فتقدر عليه الشيخ قائلاً : تشبهها في ذنبها وقرونها ! فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه ، ولم يعد إلى المجلس بعد ذلك ! هذا ولم تعلق على القصة بشيء ...

ولكن ما رأى الأستاذ الجليل حينما يعلم - وهو خير من علم ويعلم - أن ما ذكره الشيخ موفق الدين على سبيل التندر والانبساط قد ورد على سبيل الجد والنقد ، وأخذ به ذو الرمة من جارية معاصرة له ، وقد أقر الشاعر لها بهذه المأخذة ، واحتمل عليها بالمال كي تكتم هذا المييب ؟ ذكر ابن الجوزي في كتابه « الأذكياء » ص ١٦٥ القصة التالية :

دخل ذو الرمة الكوفة ، فبينما هو يسير في بعض شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب دار ، فاستحسنها ووقعت بقلبه ، فدنا إليها فقال : يا جارية ! اسقني ماء ! فأخرجت إليه كوزاً فشرّب ، فأراد أن يمازحها ويستدعي كلامها ، فقال : يا جارية ! ما أحر مأك ! فقالت : لو شئت لأقبلت على عيوب شمرك وترك حرم مائى وبرده ، فقال لها : وأى شعري له عيب ؟ فقالت : ألسنت ذا الرمة ؟ قال : بلى . قالت :

فأت الذى شبهت عنراً بقفرة

لها ذنب فوق استها أم سالم
جمات لها قرنين فوق جبينها

وطيبين مسودين مثل المحاجر
وساقين إن يستمكن منك يتركا
بجلدك يا غيلان مثل المآثم
أيا ظبية الوعاء بين جلال
وبين النقا آ أنت أم أم سالم ؟
قال : نشدتك بالله إلا أخذت راحتي وما عليها ولم تظهرى
هذا ؟ ونزل عن راحلته فدفعها إليها ، وذهب ليخفى فدفعها إليه ، وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى !
هذه هي القصة ، فما رأى الأستاذ الجليل ؟ ...

أحمد الشرباصي

خرج كلية اللغة العربية